وقفة: مع التوكل

لعلنا جميعًا سمعنا بتلك القصة، التي لا يسعنا إلا أن نأخذ العظة والعبرة منها، إنها قصة التوكل، حيث جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك ناقته بباب المسجد سائبة بلا عقال، وزعم بذلك أنه متوكل على الله في حراستها وبقائها في مكانها، فقال له النبي الكريم كلمته المشهورة، والتي سرت في المسلمين فوق مسرى الأمثال، (اعقلها وتوكل)، روى هذه القصة الترمذي وابن خزيمة.

اعقلها وتوكل، كلمة حفظها الشباب والشيب، والرجال والنساء، ولكن هل عملوا بها؟

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى جماعة بعد صلاة الجمعة اتخذوا مكانًا فجلسوا فيه، ولم ينتشروا بعد الصلاة، فقال من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء المتوكّلون، فقال: بل هؤلاء المتواكلون، ألم يقرءوا قوله تعالى:{ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الجمعة: ١٠]، ثم قال: (إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة).

فيا أخي الحبيب توكل على الله، ويا أختي الفاضلة توكلي على الله،{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [المائدة: ٢٣].

إن التوكل على الله تعالى زاد المؤمنين، يثبّتهم عند الفزع، ويدفعهم إلى الإقدام وحسن العمل، ويملأ قلوبهم بالعزة والطمأنينة.

والعجب كل العجب، من أولائك الذين لا يتوكلون على ربهم، فيظنون أن الأمر بأيديهم، أو أنه واقف على تفكيرهم، وليسوا بأسوأ حالاً من الذين ظنوا بأن التوكل وحده كافٍ لإنجاز ما يريدون فتركوا الأخذ بالأسباب، ولا يعدو كون هؤلاء وسابقيهم من المتواكلين لا

المتوكّلين.

قال بعض العارفين: (ترك الأخذ بالأسباب معصية، والتوكل على الأسباب شرك)، وقال آخر: (خذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم اترك الأسباب وكأنها لا شيء)، وما هذا وذاك إلا من قبيل: " اعقلها وتوكل ".

فهيا بنا جميعًا نتوكل على الله، فمن توكل على الله كفاه، قال تعالى:{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣].

التوكل على الله عمل جادٌ، وعزيمة وقادة، وإصرار دؤوب، فلا تواكل، ولا تراخٍ، ولا كسل، مع ثقة في الله، ووثوق فيه سبحانه، ومن هنا قوله عز وجل:{نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [العنكبوت: ٥٨، ٥٩].

ثم مالنا لا نتوكل على الله ربنا، أنسينا قوله سبحانه:{وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾} [إبراهيم: ١٢].

فيا مريد التوفيق في شؤونك كلها، فعلى الله توكل، ويا طالب النجاح كن متوكلاً على الله، وثق به، ولا تتركن بذل الأسباب حال توكلك على العزيز الوهاب، قال تبارك وتعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾} [الفرقان: ٥٨].

* * *